

الناحية العمرانية

لا تزال الكويت مع الاسف متأخرة من الناحية العمرانية ، ومدينة الكويت عمرانياً اشبه بالقرى منها بالمدن ، فاكثر الطرق ضيقة ملتوية وغير مستوية وغير منظمة ، وبعضها مرمل وكثير منها غير معبد . إلا أن هناك نهضة عمرانية طيبة فقد فتحت حديثاً شوارع واسعة فهناك شارع اسمه « ساحة نايف » يزيد عرضه على خمسين متراً وهو بطول نصف كيل ولكنه مرمل . وهناك شارع الجهرة وعرضه عشرون ، وطوله كيل يمر امام دور الحكومة وتزينه بعض اشجار الاثل ، وهناك شارع دسمان وهو اجمل شوارع الكويت عرضه عشرة امتار مفروش بالاسفلت وتقوم على جانبيه اشجار الاثل المتعانقة ، وهو خاص بقصر سمو الامير ، وأهم طرق الكويت شارع الامير وهو يمتد من ساحة الصفاة الى ساحل البحر عرضه عشرة امتار وطوله كيل واحد وتقع عليه المتاجر والدكاكين وهو مركز الحركة التجارية .

وفي الكويت ساحة الصفاة وهي ساحة واسعة جداً غير منظمة ولا شكل معين لها يعرض فيها البدو الغنم والحمر والابن والشيخ . وتقوم حولها دور الحكومة . ولا ريب أن وجود النفط في الكويت سيؤدي الى سفلة اكثر الطرق . وحبذا لو تستقدم الكويت مهندساً سورياً أو عراقياً يضع للمدينة مخططاً وينظم عمرانيها . وفي الكويت اسواق كبيرة زاخرة وغنية ولكنها غير منظمة . وهناك اسواق خاصة للحجم والسمنك و(الصفرة) اي النحاس والحداة والخضار والدهن اي السمن الخ . اما سوق الخضار فهو ليس كالهال بدمشق بل سوق لا تجد فيه على الغالب سوى البصل والقرع والبندورة والتمر . وقليلاً ما تجد غير ذلك .

ومن اطرف اسواق الكويت سوق (واجف) اي واقف لانك ترى الناس فيه واقفين وتباع فيه الاشياء العتيقة والكراسي المكسورة والثياب المستعملة

والاواني المشرفة على الهلاك .. وترى في هذا السوق ظاهرة غريبة اذ تجد النسوة قاعدات وامامهن البيض والدجاج والبقل والجراد .. ييمن وهن محجبات وفي اسواق الكويت متاجر ودكاكين وان تكن غير منظمة وغير فخمة الا انها غنية ملائى بالبضائع من كل صنف . تدخل الدكان فلا تجد غير طاولة صغيرة وقليلاً من البضاعة فيتملكك العجب حينما تعلم ان صاحب هذه الدكان يتاجر بمئات الالوف . واسواق اللحم والسمك مراقبة صحياً والباعة يحملون رخصاً من دائرة الصحة . والدكاكين هناك متواضعة وابوابها من الخشب .

أما البيوت فهي ايضاً متواضعة ، واكثرها من طابق واحد فقط لمقاومة الحر . وهي على الغالب مبنية من الحجارة والطين وتستخرج الحجارة من بعض الجزر القريبة ومن ارض البحر حين الجزر وتنقل الحجارة بسفن خاصة . وهذه الحجارة تشبه الاسمنت المبخص لكثرتها فيها من القواقع واذا رميت صخرة منها على الارض تفتت لضعفها ، اما الطين الذي يبنى به فهو طين الرمل لذلك فهو ايضاً قليل المقاومة وسريع الاتسكال . وقد تسبب السيول والامطار خراب بعض البيوت واسس الابنية قليلة العمق ضعيفة ايضاً لضعف الارض الرملية .

وهندسة البيوت عقيمة فأكثر الغرف لا ترى النور والنوافذ فيها قليلة لا يتجدد فيها الهواء كما يجب ، وقد عدت مرة مريضاً فدخلت غرفة واذا انا في ظلام دامس واذا انا في سجن اكثر منى في غرفة مريض ونظرت عننة ويسرة ، وسرت وفجأة شعرت أنني دست على شيء طري ورافق ذلك صباح المريض فعلت اني دست بطن المسكين ولولا ذلك ما اهتديت اليه .

وبيوت كبار القوم تقسم عادة الى قسمين مستقلين الديوانية لاستقبال الضيوف والحرم للنساء وهذا يشبه مايسمى عندنا في دمشق (البراني) و (الجواني) واكثر ساحات البيوت من الرمل وتسمى الساحة (حوش) . اما في بعض بيوت الاغنياء فالارض مرصوفة بالطابوق . واكثر البيوت خالية من الذوق فلا نقوش ولا طلاء وما شابه ذلك الا نادراً ، ومع ذلك ففي الكويت حركة بناء طيبة وابنية جيدة جديدة اولها قصر سمو الامير سم دار المعتمد البريطاني وهي فلة [١] (فلا)

[١] استعملنا هذه الكلمة للدلالة على فلا الاوروبية 'تقارب اللفظ وللشبه من البناء الجميل وزهرة الفل .

بديعة جميلة الهندسة من طابقين مبنية من الطابوق العراقي على غاية من الذوق والاتقان . وتسمياتها الداخلية جميلة ايضاً وهي لا تقل عن اجمل الابنية في بغداد ، وامامها حديقة مزهرة فالبحر وهناك ايضاً ابنية دورالحكومة وهي صغيرة وجميلة وصحية واكثرها من طابق واحد . وفي هذه الابنية دوائر المحاكم والامن والشرطة والسلاح والبرق ، اما المالية والاشغال العامة والتموين فتقيم في دكاكين . واجمل دور الحكومة دار البلدية وهي فلة بسيطة جميلة بيضاء مشرقة من طابقين تحيط بها حديقة مشجرة لعلها الحديقة الوحيدة الموجودة في الكويت .

وهناك ابنية بعض المدارس الحديثة التي انشئت بمهمة صديقي الاستاذ عبد اللطيف الشمالان حينما كان مديراً للمعارف وقد اكره على الاستقالة رغم خدماته الجليلة المشكورة وذلك لانه مثل الكويت في سورية ومصر وطالب باسم حكومة الكويت على حين ان هذا الحق يتعلق بالشؤون الخارجية المحصور البحث فيها بانكلترا وستبقى خدمات الشمالان في قلوب الكويتيين .

ومن جملة الابنية الجيدة في الكويت المساجد وهي كثيرة وكل مسجد يتألف من حرم وساحة والحرم على الغالب ضيق وطويل ، اما ضيقه فلحصر الاعمدة التي في السقف وضمف الجدران التي لا تحمل سقفاً كبيراً . وتركز في بعض المساجد اعمدة لحمل السقف . وجدران المساجد مطلية بالحص وخالية من الزينة والزخرفة وهذا شيء حسن في المساجد . واجمل ما في مساجد الكويت المنابر ؛ فالمنبر اشبه شيء بشرفة في الجدار يرقى اليها الخطيب بضع درجات في جدار المحراب . وهذه المنابر خير من منابرنا البارزة بين صفوف المصلين ، اما المآذن فتواضعة جداً وهي قصيرة كثيراً بل هي اشبه شيء باداخل الكبيرة او ابراج الحراسة وهي ايضاً من الطين . ولا يوجد الا مثذنة واحدة مرتفعة قليلاً مبنية من الطابوق وهي مثذنة جامع السوق . ولا يوجد في الكويت قباب .

ومدينة الكويت آخذة بالاتساع في البر والبحر ؛ والكويتيون يردمون البحر ويننون ، وقد ازداد اتساع المدينة خلال المئة سنة الاخيرة خمسة اضعاف ما كانت عليه وازداد عدد السكان نحو عشرين ضعفاً .

ومن الاعمال العمرانية التي تستحق الذكر في هذا الباب سور الكويت وهو سور كبير طوله سبعة اكيال . يحيط بالمدينة من البحر الى البحر من الشرق الى الغرب بشكل نصف دائرة تقريباً . وارتفاع السور نحو اربعة امتار ونحوه نحو متر واحد وفيه عدة بوابات من الخشب توصل عند اللزوم ويقوم عليها الحراس ليلا نهاراً . ولا يمكن للمرء ان يدخل الكويت وان يخرج منها عن طريق البر الا اذا اجتاز احدى هذه البوابات وعددها خمس : باب الجهرة وباب نايف (الداوازه) وهو اشهرها ، وباب البريعصي ، وباب بنيد الكار ، وباب الشويخ وفي السور عشرات من الابراج للرمي واطلاق النار ، اما بناء السور فمن الحجارة والطين وقد بناه الشيخ سالم لحفظ الكويت من الغزو والغريب ان بناء هذا السور تم خلال اربعين يوماً فقط ؛ وقد عمل فيه كل ذي قوة من رجال ونساء واولاد في الليل والنهار واغرب من ذلك انه لم يكلف الحكومة درهماً واحداً فقد عمل الناس مجاناً واحضرت اليه الحجارة والمياه والاتربة ولوازم البناء مجاناً ايضاً وهذا السور من حسنات الشيخ سالم ومن المشاريع الكبرى في الكويت .

ونذكر في هذا الباب الفرض وهي أحواض اقتسمت من البحر بمجران من الحجارة والصخور ترسو فيها السفن والزوارق وتتعانق مئات الصواري وتتصافح آلاف المجاذيف .

ولا بد لي ان اذكر هنا شيئاً عن الحمامات التي هي معدومة الوجود ، وانما في كل دار حسنة (مسبح) اي حمام وهو حجره صغيرة عادية وليس فيها من وسائل الاستحمام شيء وانما يسخن الماء ويصب في هذا الحمام . وكثير من الناس (يتسبحون) اي يغتسلون في البحر . يأتي الرجل فيأترز ويلقي نفسه في اليم ، يدلك جسده ثم يخرج ، ومن اغرب ما رأيت اغتسال بعض الخادمات في البحر ، لا تظن ان الخادمة تلبس قميص البحر وتستحم او انها تلبس ثوباً خاصاً طويلاً أو قصيراً ومن المستحيل ان تكشف امرأة في الكويت ذراعها او ساقها حتى في البحر وهذه حكمة محمد عليها نساء الكويت . وانما تسير الخادمة في الطريق بثوبها وعباءتها ونقابها وتقرب من البحر شيئاً فشيئاً حتى تصل الى الماء فتخوض في الماء حتى

عقبها وتتقدم في البحر قليلا قليلا حتى يضرب الماء ساقيها دون ان ترفع ذيلها او ثوبها أو عباءتها وتتقدم في البحر ايضاً حتى يصل الماء الى فخذيها فما فوق وهي لاتزال مسدلة نقابها خوفاً من العيون ثم تتقدم في البحر والماء يرتفع حتى يصل الى فخذيها وحينئذ تنقط في الماء حتى لا يبدو منها الا عباءتها الطافية فوق الموج بشكل قبة ولا أدري اذا كانت تحت الماء ترفع نقابها فتحل شعرها وتذلك جسمها ثم تعود الى البر كما دخلت وتسير في الطريق كما جاءت والماء ينقط من ذيلها وعباءتها ونقابها وذراعيها .

وكل شيء عند الكويتيات يمكن غسله : الثياب والكراسي والسجاد حتى الفرش ولكن بصورة غير نظيفة وغير متقنة .

بعض الوجوه

الشيخ عبد الله السالم : ثاني شخصية في الكويت بعد سمو الامير وهو ولي العهد ورئيس الصحة والمالية ومجلس الشورى في نحو الخمسين من العمر يحب العزلة وله قصر فخيم في الشعب ، وهو عالم اديب بل اكبر ادياء الكويت يحفظ كثيراً من الشعر ويستشهد به ويحب المناقشات العلمية والمباحث الفقهية لم يسعني الحظ بمقابلته .

الشيخ عبد الله الجابر : ثالث شخصية في الكويت وهو رئيس المعارف والمحاكم في نحو الثانية والاربعين من العمر اسم اللون معتدل القامة مسترسل شعر الرأس أسود ، هاديء ومتأن . طيب القلب وديع مسالم دائم الابتسام قليل الغضب . وكان له ثلاثة اولاد يدرسون عندي وكان يقول لي : هم اولادك فافعل ماتراه لازماً ، وكنت اقسو عليهم احياناً بتطبيق النظام فما شعرت ان الشيخ عتب او اعترض .

الشيخ عبد الله المبارك : ابن الشيخ مبارك المشهور وهو رئيس الامن العام . رجل ضخم الجثة طويل القامة ، قوي العزم شجاع لطيف ومحبوب ويخشاه البدو لسطوته ، له سيارة فضمة . وقد قلده الانكليز مؤخراً وساما جزاء خدماته التي اداها لهم ، وقد حضر الحفلة رئيس الخليج بنفسه

الشيخ فهد السالم : مدير المالية وهو وافر الرجولة بأدي النشاط شديد مرة واحدة فقط ، وقد عمت مؤخراً انه ترك المالية .

الشيخ صباح السالم : مدير الشرطة وصهر سمو الامير رقيق البدن والطبع لطيف المعشرميال للادب وله ذوق فني انما يكره الكتاب والصحفيين يحب النكتة وخاصة المصرية منها زار دمشق والحجاز وبغداد وقدا بدي مرة اعجابه بالمصريين لنكاتهم فقلت له : حضرة الشيخ ، الله يسلمك ، مصر لاتفخر بنكاتها وانما تفخر بأزهرها وجامعتها ، تفخر بسعد وفاروق . تفخر بينك مصر وبالقناطر الخيرية فضحك وضحك اخواننا المصريون . له سمير خاص يسليه وله سيارة يسوقها غالباً بنفسه بينما الخدم والبيد في ظهر السيارة .

الشيخ يوسف بن عيسى الجناهي : من اشهر شخصيات الكويت عالم مفضل وهو الجناعات المشهورة بشبابها المثقف وقد أدى حضرة للكويت خدمات جلي ويعد بحق مصلح الكويت وقد كان معلماً عادياً ثم اصبح مديراً للمعارف وقام باصلاحات جمة تذكر مع الاعجاب العظيم .

وهو رجل متواضع ولطيف وموضع ثقة الناس برأيه الصائب وتفكيره الحسن وعلمه العزيز ويعتمد عليه سمو الامير والشيوخ وعموم الناس امد الله بحياته .

مدر صالح : من كبار الشخصيات في الكويت ويعد من ارجح الناس عقلاً واكثر اهل الكويت وجاهة وقد قدم لسمو الامير وللكويت خدمات جلي وكان لولب الحركة في الكويت وهو الان يتجاوز الثمانين من العمر مهيب الطلعة رصين وهاديء وهو والد الاستاذ عبد الله ملا صالح الذي يعد من ادباء الكويت ومن الطف الناس وحضرته رئيس ديوان سمو الامير اليوم .

ومن اشهر العائلات في الكويت آل غانم وهم من كبار التجار ذوى عفة ويسار وادب ، وآل رومي ايضا من اصحاب النبيل والشرف وآل بحر وآل مطيري

وهم من اصحاب الملايين ومن كبار تجار اللؤلؤ وال بدر وآل نصف وآل خالد وغيرهم من الوجهاء .

ومن كبار التجار والوجوه الذين تعرفت اليهم السيد يوسف الغانم وهو من كبار التجار عرفته في دمشق في هذا الميف سنة ١٤٤٤ حينما اتى للاصطياف في سورية وقد تزوج من دمشق وكان موقفاً جداً بزواجه . وخالد الزيد وهو رجل واسع الاطلاع ومثري كبير . ويوسف المرزوق وهو ايضاً من اعلام الوطنية في الكويت ومن دعاة الوحدة العربية وهو تاجر عظيم ومبناجر جريء لطيف ومستقيم . ومحمد ملا حسين وهو شاب مهذب نشيط ذكي سهل لنا كثيراً من امورنا ابان وجودنا في الكويت وهناك نفر كبير من الافاضل الذين احفظ لهم في نفسي اجمل ذكرى اخص بينهم السيد محمد عزة جمفر المرافق الخاص لسيمو الامير والشيد عبد الله ملا صالح رئيس الديوان الاميري وغيرهما .